17 ème Année No. 829

Lundi — 23 — 5 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٢٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ رجب سنة ١٣٦٨ — ٢٣ مايو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

تيتو والشيوعية « القومية »

للأستاذ عمر حليق

يقف المارشال تيتو سيد يوغسلافيا موقفاً فريداً إزاء هذه التيارات الجارفة التى تهب عليه من المعسكرين المتطاحنين : السوفياتى والغربى .

فهذا الخليط من الأقليات العنصرية والطائفية التى تؤلف « اتحاداً جمهورياً من الشعب اليوغسلافية » يمر فى فترة غريبة فى خطورتها . ذلك لأن موقف التحدى الذى يقفه المارشال تيتو من الإدارة المركزية للشيوعية الدولية (الكومنفورم) الذى يعمل بوحى من موسكو جلب عليه غضب المعسكر الروسى فى شرق أوربا وأواسطها وفى البلقان ، ولم يكسبه — إلى الآن على الأقل — بركة حلفاء الغرب ومؤازرتهم ونصرتهم . وتيتو على رغم ذلك قوى العقيدة فى صلاح الماركسية الأصيلة كما تنص عليها تعاليم ماركس ولينين كأساس للحياة السعيدة ، وهو كافر بالنظم التى يعيش عليها المعسكر المعادى للشيوعية .

وماركسية تيتو ليست اشتراكية معتدلة على غرار المجتمعات الاسكندنافية مثلا ، أو تلك التى تحاول توطيدها فى بريطانيا حكومة العمال .

فالنظام الذى يصوغ به تيتو حاضر يوغسلافيا هو نظام شيوعى أصيل فى وسائله وأهدافه . وليس خلافه مع موسكو والكومنفورم بمس العقيدة الماركسية وإنما يمس تفسيرها والوسائل لتدعيمها وتحقيق مراميها .

والواقع أن تيتو « سوفياتى » أكثر من ستالين ؛ فإن جوهر الخلاف بين يوغسلافيا وموسكو يعود إلى إصرار تيتو على الاعتقاد بأن نجاح الماركسية ورسوخها فى الفكر والسلك لن يتحقق فى هذه المركزية الدقيقة الصارمة التى تفرضها موسكو بواسطة الكومنفورم على الأحزاب والجماعات الشيوعية التى تعيش خارج الاتحاد السوفياتى ؛ بل إنه يؤمن بأن لكل مجتمع ظروفاً خاصة ومؤثرات خاصة ونزعات باطنية وتكويناً خلقياً خاصاً ، فلا يمكن أن تصهر جميعا لتكون لينة مطاوعة لتوجيهات دقيقة تصدر عن موسكو أو الكومنفورم وتمس المصالح القومية للذين اختاروا الاشتراكية نظاماً للحياة .

وقد انقضت أكثر من عشرة أشهر على انفصام عرى الوئام بين المارشال تيتو وبين موسكو والدول الشيوعية الأخرى ، واتخذ هذا الخلاف صورة جدية فى الأسابيع الأخيرة عند ما حشدت ألبانيا وبلغاريا بعض قواتها على الحدود المشتركة مع يوغوسلافيا ؛ ولكن هذه الحالة السيئة لم تضعف من مركز تيتو ولم تقلل ثقة الشعب اليوغسلافى بزعامته .

وتركز النظام الحالى فى يوغسلافيا يعود إلى أسباب ، منها أن الأغنياء ومترق الطبقة الوسطى بالرغم من استيائهم من الاشتراكية التى حققها تيتو هم الآن مشاولو النشاط ليس فيهم

من المال والأنصار مايستطيعون بواسطته إقصاء تيتو عن الحكم. وعامة الشعب من الزارعين والعمال لا مفر لهم في يوغسلافيا من اختيار أهون الشرين: ناپا ستالين وإما تيتو. وهذه الوضعية كذلك تنطبق على المثقفين. ويبدو جلياً أن الكثرة من كلا الفريقين قد رضيت بالمارشال تيتو مواطنهم. وقد فر أنصار موسكو والكومنفورم إلى خارج البلاد، ولم يعد لهم أثر في السياسة والحياة العامة.

والصعاب التي تواجه تيتو جمة؛ فقد قطعت الحكومات الشيوعية المحالفة لروسيا صلاتها الاقتصادية مع يوغسلافيا؛ وتحفظ حلفاء الغرب في تعاملهم مع تيتو في السياسة والاقتصاد. وبقي هذا الاشتراكي العنيد مصراً على ألا يساوم طرفاً من الطرفين (السوفياتي والغربي) على حساب الاشتراكية القومية التي يعمل لتوطيدها في وطنه. فتيتو يرى أن الوسائل التي يقيمها السوفيات وحلفاؤهم من الدول الشيوعية الأخرى لتحقيق الماركسية الصحيحة هي طريقة خاطئة تخالف تعاليم لينين من حيث أنها لا تراعي الخصائص الفردية لكل مجتمع، ولا تحاول أن تفرض على العالم بأسره نظاماً موحداً لا يتناسب مع طبيعة المجتمعات وما هي عليه من تباين في كثير من الطبائع والميول والاتجاهات. ومع أن الماركسية تصر على بلشفة العالم في المراحل النهائية من التطور، فإن لينين رأى أن يراعي طبيعة هذا التباين الاجتماعي عند ما انكب على توطيد الماركسية في الاتحاد السوفياتي أولا تاركا العالم الخارجي وشأنه، وهذا على عكس ما جرت عليه السياسة الروسية في سنوات ما بعد الحرب.

وتيتو كذلك لا يرى أن من الخير ليوغسلافيا أن تترك التجربة الاشتراكية الناجحة التي توطدت فيها الآن لترتمي في أحضان الرأسمالية.

وخلاف تيتو مع موسكو لا يقتصر على المبادىء الفكرية وتفاسيرها، بل إنه يمس التعامل الاقتصادي كذلك.

فإن سيطرة موسكو على منطقة نفوذها في شرق أوربا تستدعي أن تنسق يوغسلافيا إنتاجها الزراعي والصناعي بحيث لا يناقس الصناعة والانتاج الروسيين وإنتاج الدول الشيوعية الأخرى لئلا تنفصم عرى الوحدة الاقتصادية في منطقة النفوذ الشيوعي.

وتيتو لا يرى أنه من المصلحة القومية أن يحصر إنتاج بلاده ونشاطها الاقتصادي في أصناف معينة أو مقادير محدودة مراعاة لمصلحة موسكو والدول الموالية لها. وهو يرى أن يوغسلافيا تستطيع أن تحقق إنتاجاً وافراً دون قيود والتزامات اختيارية أواضطرارية فتستفيد وترفع مستوى معيشة سكانها بدل أن تضحي بذلك إرضاء لتعليمات الكومنفورم.

ويقول تيتو صراحة إن بلاده لم تتحرر على يد الجيش الروسي أو جيوش الحلفاء الغربيين من النير الطليانى والألماني، وإنما الذي حرر يوغسلافيا هم أبناؤها من الثوار ورجال المقاومة السرية، ولذلك فليست يوغسلافيا مدينة لأحد، وهي ترفض الانصياع لأوامر موسكو والاستسلام لرغبات الغرب.

هذه المزلة الاقتصادية والسياسية التي اختارها تيتو لنفسه ولبلاده قد استوجبت التزامات ثقيلة. وقد أصر تيتو على أن يلمس بنفسه طبيعة هذه الالتزامات وانعكاساتها على طبقات الشعب فقام بجوب أنحاء البلاد ليتعرف مطالبها ويقف على مشكلات الأقليات العنصرية والطائفية المختلفة الميول والنزعات.

وكان لاختبار تيتو حالة الشعب ووسائل الإنتاج اختباراً شخصياً أثر بليغ في تفهمه لحقيقة الوضع ومواطن الضعف وإمكانيات القوة. كما أن اتصالاته الشخصية قد عززت مكانته في قلوب الشعب تعزيزاً متيناً. وتيتو هو أول زعيم شيوعي مسؤول يترك قصره المحاط بالحراس ويندفع في طول البلاد وعرضها يدرس ويتعرف عن كثب.

ولقد اكتشف تيتو الهوة الشاسعة بين وضع المشروعات والبرامج على الخرائط والورق وبين حقيقة تنفيذها. فقد وجد أن العمال في المصانع والمزارع التي تملكها الدولة يطيئون النشاط قليلو الإنتاج منحطو المعنوية بسبب الظروف الصعبة التي تحيط بالحياة العمالية. فعمل تيتو جاهداً لزيادة نشاطهم وإنتاجهم ورفع معنوياتهم عن طريق التحسين في شؤون العمل وظروفه وشروطه الصحية وساعات الراحة والحصة في الأرباح وجوائز التفوق وغير ذلك من المؤثرات النفسانية التي يعلمها المختصون بشؤون العمل والعمال.

وقد أفاد تيتو كثيراً من الجولات في طول البلاد وعرضها التعرف على الاتجاهات السياسية ومبلغ مناصرة الشعب له في